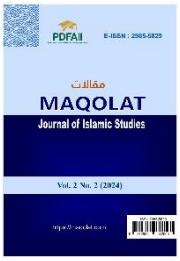

MAQOLAT: Journal of Islamic Studies
Journal website: https://maqolat.com/

ISSN : 2985-5829 (Online)
DOI: https://doi.org/10.58355/maqolat.v2i4.108

Vol. 2, No. 4 (2024)
pp. 337-352

Research Article

الوحدانية في قوانين السنن الاجتماعية وتهافت الشرك والإلحاد

Ayoub Laakel

Abdelmalek Essaadi University, Morocco

E-mail: ayoub.elaakel@gmail.com

Copyright © 2024 by Authors, Published by **MAQOLAT**: **Journal of Islamic Studies**. This is an open access article under the CC BY License https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Received : June 29, 2024
Revised : August 16, 2024
Accepted : October 15, 2024
Available online : November 15, 2024

How to Cite: Laakel, A. (2024). Oneness in the Laws of Social Norms and the Incoherence of Polytheism and Atheism. *MAQOLAT: Journal of Islamic Studies*, *2*(4), 337–352. https://doi.org/10.58355/maqolat.v2i4.108

Oneness in the Laws of Social Norms and the Incoherence of Polytheism and Atheism

Abstract. The research represents a scholarly endeavor to open a new dimension in the realm of social norms, deliberating on monotheism amidst the challenges of polytheism and atheism. It delves deeply into the study of the characteristics and attributes of social norms, recognizing their exclusive emanation from a singular divine source. The research problem is structured around resolving the debate within scientific circles that Allah alone cannot govern the human world independently; rather, there exist superior entities capable of influencing and altering destiny, sometimes substituting the divine with mythical entities or alternative systems. The primary objectives of the research include establishing the concept of Allah's unity and its manifestations within social norms. Utilizing a critical-analytical methodology, the study highlights the necessity for deeper exploration of social norms

through various approaches. Each investigation, guided by scientific rigor and objectivity, inevitably concludes with a firm conviction in the excellence of Allah and His continuous governance of existence. Furthermore, both ancient and modern atheism face methodological crises in comprehending creation's origin, while polytheism acknowledges Allah's partial authority, yet perceives completeness only through associating additional forces to complement what they perceive as divine imperfections.

Keywords: Social norms, Stability of social norms, The rise of social norms, oneness.

الملخص:

البحث محاولة علمية لفتح بعد عقدي على باب جديد في موضوع السنن الاجتماعية، دار الكلام فيه حول الوحدانية في قوانين السنن الاجتماعية وتهافت الشرك والإلحاد، وتعمقت أكثر في دراسة خواص وصفات السنن الاجتماعية لكونها لا يمكن أن تصدر إلا من رب واحد. وقد بنيت إشكالية البحث على حل معضلة ما يقدم في بعض الأوساط العلمية من أن الله لا يقدر أن يسير العالم البشري لوحده، وإنما هناك كيانات متفوقة قادرة تؤثر وتغير في نتيجة الأقدار وتتحكم فيها، بل إن هناك من جعله سبحانه كيانا أسطوريا قد حلت مكانه أنظمة أخرى تسير العالم. أما أهداف البحث، فأهمها: الوصول إلى فكرة تثبت وحدانية الله وتجلياتها في قوانين السنن الاجتماعية. وقد استعملت في بحثي المنهج النقدي التحليلي، ومن أبرز نتائج البحث أن السنن الاجتماعية تحتاج لدراسة أكثر وفق مقاربات عديدة، كل بحث في موضوع السنن يحترم منهج العلم والموضوعية العلمية سينتهي لا محالة إلى قناعة راسخة بوجود الله واستمراره في تسيير الوجود. وأن الإلحاد في العصر القديم والحديث يعاني من أزمة في منهجية الفهم، وجحود في إرجاع كل ما أبدع في الوجود إلى الله الخالق. وأن الشرك يعترف بالله وقدرته جزئيا ولا تكتمل رؤية الكمال في ذهنه إلا بإشراك قوى أخرى تكمل ما أنقصه من الله عزوجل.

الكلمات المفاتيح: السنن الاجتماعية، ثبات السنن الاجتماعية، اطراد السنن الاجتماعية، الوحدانية

المقدمة

الحمد لله ولي التوفيق، هادي الخلق إلى الطريق المنير، سبحانه يجازي على القليل الكثير، بالتوبة يعفو عن الذنب والتقصير، وصلى الله على البشير النذير، والسراج المنير، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هادي الخلق إلى ما لهم فيه السعادة والخير.

أما بعد، فإن الله جلت قدرته، وعلا شأنه، وتوافرت نعمه، ووسعت رحمته كل شيء، واتصف بالكمال المطلق، وتنزه عن كل نقص، شاء أن يخلق بحكمته الكون وما يضمه من عجائب تدخل الناظر إليها في حالة من الذهول والدهشة، والرغبة في الاستسلام إلى العظيم الخالق سبحانه، والرغبة والفضول في اكتشاف أسرار مخلوقاته وكيفية تسييره سبحانه لها، والقوانين المتبعة في ذلك، فسعى الإنسان بصفته ذاك الكائن العاقل الباحث فطريا عن المعرفة، إلى اكتشاف أسرار الحياة والعالم

الذي يعيش فيه وعلاقته بالمنظومة الاجتماعية التي يجد فيها الملجأ الذي يحفظ أمنه ويضمن تكاثره واستمرار نسله.

في هذا الحراك الفكري والمعرفي الذي لا ينتهي بسبب اتساع العلم المخلوق في الوجود، كان من بين العلوم التي وصل لها الإنسان واستطاع إدراكها وفهم بعض خفاياها علم السنن الإلهية، أي النواميس الثابتة التي يسير وفقها العالم وينتظم بها أمره، بحيث كل من سار على نهجها، وتفاعل معها بتواضع وعلم ووعي، وتفطن لقدرتها على التدمير والإصلاح، نجا وارتاح وازدهر، ومن خالفها واتبع هواه وطغيانه وكفره وتجبره، وأنكرها ووثق في سلوكه المتمرد والفاسد والأناني، خسر الدنيا والآخرة.

لا يخفى على كل باحث درس علم السنن الإلهية أن يكتشف ويستنتج أن هذا العلم ليس بالبساطة التي نعتقدها، ولا يمكن لا علميا ولا منهجيا الاكتفاء بالقول بأن علم السنن يتعلق فقط بالمجال الكوني (حركة المجرات والكواكب ونجومها ومداراتها ووظيفتها في الوجود الزمكاني)، (إسلانجيه). أو المجال الطبيعي (حركة سطح الأرض وباطنها، وارتفاع الحرارة وانخفاضها، وعلاقة ذلك بالجفاف والخصوبة أو الكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل والبراكين وغيرها)، (أينشتين: 2005). فهو علم يمتد أيضا ليشمل السنن الاجتماعية.

يمكن أن تتوسع مجلات البحث في علم السنن ضمن مقاربات وأبعاد جديدة يمكن من خلالها اكتشاف أنوار وحقائق كانت مخفية عن القارئ من بينها الأبعاد العقدية، وكلما تمكنا من خلق وجهة نظر جديدة بتغيير الزاوية المنظور منها، كلما استطعنا تقديم معارف جديدة لهذا العلم، تمكننا من التعمق أكثر داخل أسراره وحقائقه.

إن الوصول إلى الحقيقة العقدية أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وأنه الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له شريك في الملك أو الخلق أو تدبير شؤون هذا الكون الواسع، (ابن خمير: 2004)، يحتاج إلى براهين تدل على أنه سبحانه وتعالى موجود والوحيد المستحق للعبادة. فكانت قوانين السنن ونواميس تسيير الكون من أسرار هذا العالم المخلوق ومن الأدلة الواضحة على إرجاع هذه العظمة إلى رب واحد سبحانه، ولو كان غير ذلك لفسد هذا النظام واختلت هذه القوانين وانحرفت عن مسارها السنني، يقول الله سبحانه وتعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَۖ)، (الأنبياء: 22). أي: أن كثرة الآلهة سبب موجب للفساد، وافتراض وجود آلهة غير الله تدبر شؤون السماء والأرض كفيل منطقيا بالتسبب في اختلال نظامهما وإفساده، ونظام السماء والأرض المتزن والثابت دليل على أن الخالق والمدبر واحد سبحانه، ويقول أيضا: (مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۢ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٖۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَۖ) (المؤمنون: 92)، أي: لو كانت معه آلهة لا انفرد كل إله بخلقه، ولعلا بعضهم على

بعض، وكل إله سيسعى للغلبة والسيطرة، لو تحقق هذا ما كان لهذا الوجود أن ينتظم. مقتضى الآية يخبرنا أن النظام الكوني انفرد به إله واحد لا زوج له ولا ولد أو صاحب. (ابن كثير، 2002: 5: 492).

كما أن نمط اشتغال قوانين السنن الإلهية داخل الكون والطبيعة والمجتمع يمتاز بأسلوب يسري على كل الموجودات بشكل مستمر ومطرد، يجعلنا نستنتج أن هذه السنن مصنوعة وموجودة لغاية إرشادية، ورسالة ربانية توجهنا لغاية نورانية تعلو بالإنسان من دركات الغفلة والشرك إلى درجات الإيمان واليقظة. لأن كل فعل موجه ومنظم إلا وله موجه ومسير يقوم على أمره ويحمله بعظمته، ليخبرنا أن هذا الكون من صنع واحد أحد، بإرادة رحمانية واحدة، وبسلطة ربانية معجزة، توقظنا لاكتشاف حقيقة التوحيد متجسدة في ظواهر وخفايا الخلق.

إن مراقبتنا لعدد هذه القوانين السننية نجد أنها لا حصر لها، وتزداد وضوحا وتجليا كلما ازداد الإنسان علما ومعرفة. وأن هذه السنن كثيرة ومنظمة تحت رعاية لا تتعارض ولا تفسد الحياة ولا فوضى تعتريها ولا خلل يشوبها. وهذا يجعلنا ندرك أنها خلقت من طرف إرادة واحدة وعقل مدبر واحد. وسأحاول التفصيل في هذه القضايا وإشكالياتها في مضامين هذا البحث، حسب الأجوبة التي تستنتج من إشكاليات عناوينه، والتي ستقودنا إلى فهم كيف تتجسد الوحدانية في قوانين السنن الاجتماعية.

إشكالية البحث

بروز تيارات فكرية معاصرة تميل في منهجها الفكري والنظري إلى التخلي عن فكرة وجود الله، أو إشراك معه آلهة أخرى تنظم العالم، هي محاولة غير ناجحة تريد إحياء نفس الأفكار الكافرة والمشركة، ونقلها من الماضي إلى الحاضر بصور مختلفة، سواء تمثلت في قوانين طبيعية واجتماعية، أو في كيانات تقوم مقام الاله في بعض أدواره، أو في أن حضوره سبحانه هو حضور رمزي أسطوري قد حلت مكانه أنظمة أخرى كونية تضبط العالم وتسيره.

فكيف إذا يمكن إضافة مقاربة جديدة ندافع من خلالها عن فكرة وجود إله واحد لا شريك له؟

وإلى أي حد يمكن مناقشة موضوع الوحدانية من زاوية السنن الاجتماعية وقوانينها وعملها في العمران البشري من أجل إثبات وحدانية الله وتهافت الشرك والالحاد؟

دواعي اختيار موضوع البحث

لبحثي دواعٍ وبواعث ألخصها في الآتي:

أولا: إن موضوع دراسة السنن الاجتماعية من المواضيع التي طالها الإهمال عند كثير من الباحثين، لاعتقادهم أن البحث فيها مكتمل، وأن القرآن الكريم أشار إليها صراحة ولا حاجة لتكرار نفس المضامين والأفكار الواضحة، وهذا اعتقاد خاطئ ينبغي أن يصحح.

ثانيا: إن مجال البحث في السنن الإلهية غني بالمواضيع التي تهم الإنسان وعلاقته بكل الموجودات، ووظيفته في إيجاد نفسه وإصلاحها، وتكوين فضاء يحقق أمنه ورخاءه النفسي والاجتماعي والديني والطبيعي؛ والتوقف عن البحث فيها هو ضرب من الجنون، ومغامرة ستغرقنا في مزيد من الجهل والغرور المؤدي إلى التخلف ثم الخسران سننيا.

منهج البحث

من الأمور الأساسية في البحث العلمي توظيفُ منهج خاص يستطيع من خلاله الباحث صياغة موضوع يلتزم بمجموعة من الأدوات والطرق والتقنيات الخاصة، والتي يتم استخدامها في فحص المعارف والظواهر المكتشفة في عملية البحث التي يقوم بها.

والمنهج الذي اخترته في إنجاز هذا البحث يتلاءم مع الموضوع المبحوث فيه، فقد اخترت المنهج التحليلي النقدي، فجمعت كما كبيرا من البيانات والمعلومات البحثية، ثم قمت بتحليلها ونقدها وصولا إلى إيجاد تفسيرات منطقية لها مثبتة بقرائن وأدلة علمية تساعد الباحث في بناء تصور سليم يستعرض الحقائق والنماذج والأنساق حسب سياق بحثي.

أهداف البحث

أولا: الوصول إلى قناعات راسخة في وحدانية الله وتجلياتها في قوانين السنن الاجتماعية.

ثانيا: دحض الفكر الإلحادي القائم على إرجاع القوانين السننية إلى نفسها دون الاعتراف بمصدرها الحقيقي.

ثالثا: محاربة كل محاولة تريد إشراك قوى متعددة مهيمنة ومسيطرة تعتقد بها مع رب العزة في إيجاد وتسيير خلقه.

رابعا: الاعتماد الكلي اعتقادا وفكرا وممارسة على الحضور الرباني الخالق والمسير والمنظم في كل الأحداث التي تقع في المجتمع وتؤثر فيه، وفق حكمة ربانية يعلمها سبحانه، وقوانين سننية تشهد على هذا الحضور.

خامسا: إظهار بعض الأبعاد في السنن الاجتماعية مثل البعد العقدي من أجل فتح أبواب جديدة للنظر، تساعد الإنسان في تكوين قناعات صلبة حول حقيقة ما يؤمن به، وما يعيش عليه، وما يحيط به، ومآلات أفعاله في الدنيا والآخرة.

خطة البحث

لقد تم ترتيب هذا البحث وفق خطة تضمنت مقدمة وعناوين رئيسة، وأخرى فرعية، وخاتمة على الشكل الآتي:

المقدمة

أولا: تعريف السنن الاجتماعية

ثانيا: خصائص الفعل الرباني

1. من حيث الثبات
2. من حيث الاطراد

الخاتمة

شكر وامتنان

فهرس المصادر والمراجع

أولا: تعريف السنن الاجتماعية

هناك عدة تعريفات للسنن الاجتماعية، منها أنها "وقائع الله تعالى التي جرت عادته بإنزالها بعباده على أعمالهم الاختيارية التي استمرؤوها ولم يتحولوا عنها، ثوابا لمن وافقوا منهج الله عز وجل، أو عقابا لمن كفروا أو شاقوا الله تعالى ورسله ودعاته، أو ابتلاءً للمؤمنين، أو إملاءً واستدراجا للطغاة، وكذا ما وضع الله تعالى لعباده من شرائع"، (عبد العظيم، 1998: 56). أو هي: "السنن التي تحكم الظواهر الاجتماعية، وتنظم على أساسها المجتمعات والعلاقات الاجتماعية". (عبد الجبار، 2005: 2: 212).

والمقصود بالسنن الاجتماعية مجموع السنن والقوانين التي تلتصق وتقترن بالمجتمع وتقع فيه أينما تكوَّن وحل وارتحل، وفي كل بقاع العالم التي يسكنها الإنسان، ويشمل هذا الوصف الأمم والحضارات التي قامت في جميع الحِقَب التاريخية. إذ إن هناك سننا ثابتة ومستمرة وشاملة تتواجد بتواجد الإنسان ونشاطه الاجتماعي، سميت بالسنن الاجتماعية، نسبة إلى تفاعلها وتواجدها الدائم في المجتمع، ليرتبط هذا الوصف بها نتيجة لنوع انتمائها ومحيط وقوعها.

يقول الدكتور "محمد أمحزون" معبرا عن علاقة المجتمع بالسنن ونسبتها لله ودورها في الحياة الإنسانية: "إن المجتمع الذي أرشد القرآن الكريم إلى طريقة بنائه الاجتماعي هو المجتمع الذي يسير على سنن الله تعالى في الحياة، فيعمر الأرض فكريا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا، ويقيم عليها منارات العدل والهدى ومنازل الرحمة والطمأنينة، والتعاون الأخوي الإيماني الذي يضمن مد جسور التعاون الفعلي والانسجام الحقيقي بين بني البشر، وتمتين روابط المودة والمحبة بينهم، ليضمنوا لأنفسهم البقاء في سلالاتهم المتتابعة إلى أن يجيء الأجل المقدر، كما في قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم

مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝)، الحجرات: 13". (أمحزون، 2011: 1: 117).

ولفظ "السنة" في اللغة جاء بمعنى الطريقة والسيرة والمنهج والشريعة والعادة وغيرها مما يدخل في هذا المعنى. وسنة الله: أحكامه وأمره ونهيُهُ. وسَنَّ الله سنة أي بيَّن طريقا قويما. (ابن منظور: 13: 226-224). قال تعالى: (سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝) (الأحزاب: 62)، أي: طريقة الله التي يصرف بها كونه أو خلقه بما يحقق المصلحة الربانية الأصلح في كونه وخلقه، ومصلحة الإنسان في ذلك أن يسود الحق ويبطل الباطل، "فإنه قد عرف من سنة الله في عباده وإكرامه لأهل الخير وإهانته لأهل الشر ما فيه عبرة لأولى الأبصار فإن الناس قد عرفوا بالآثار الموجودة المعاينة في الأرض والأخبار المتواترة عاقبة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأتباعهم وعاقبة من كذب هؤلاء وعلموا إكرام الله لهؤلاء ونصره لهم وعقوبته لهؤلاء وإهانته لهم وعلموا أيضا عاقبة أهل العدل والإحسان من الولاة والرعايا وعاقبة أهل الظلم والشر من هؤلاء وهؤلاء وهذا أمر موجود في جميع الأمم عربهم وعجمهم على اختلاف أصناف العجم من الفرس والروم والترك والهند والحبشة والبربر وغيرهم" (ابن تيمية، 1404: 1: 226).

انطلاقا من هذا التعريف، فالسنة الاجتماعية يمكن تعيينها دون الدخول في فروع تحديدها في علم الفقه وأصوله، وعلم الكلام وعلم الحديث... في كونها منهجا وطريقا يعبر عن قوانين ونواميس ربانية لا تتغير ولا تتبدل، أوجدها سبحانه في العمران البشري، وربطها بالفعل الإنساني تفاعلا معه سلبا وإيجابا، فوزا وخسرانا؛ لتكون السنة بهذا المعنى ذات دلالة قرآنية، تأخذ معناها الحقيقي من مفهوم السنن في القرآن الكريم، لأنه أساس بناء التصورات والمفاهيم العقدية والفكرية عند المسلمين.

أما المجتمع، فهو الوعاء الذي يضم هذه السنن، ويتكون من مجموعة من الأفراد تجمعهم مصالح مشتركة، وأهداف تحافظ على أمنهم وراحتهم؛ كما أنه يشكل مجموعة من العلاقات تنظم نشاط الأفراد. ولذا، فإن وضع الشبكة المرتخي أو المشدود، حالها النشيط أو الخامل، يتعلق بالأفراد الذين يحفظون هذه العلاقات أو يدمرونها. ويتجلى هذا المرض الاجتماعي المدمر في طبيعة ونوع العلاقات بين أفراده، وأكبر دليل على ذلك ما يصيب "الأنا" عند الفرد من تضخم ينتهي إلى تحلل الجسد الاجتماعي مع مرور الوقت. (أمحزون: 127).

من خلال ما سبق، يمكن أن نخلص إلى تعريف موجز للسنن الاجتماعية نجمع فيه ما تم تداوله وتحليله، فأقول: السنن الاجتماعية هي سنن إلهية تمثل الطريقة المألوفة والمتبعة التي يعامل بها الله البشرية دون تحيز منه أو ظلم وبعدل مطلق، تقابل الفعل الحسن والصالح بالفوز والتمكين والازدهار، والعمل السيء الفاسد بالهزيمة والخسران والهلاك في الدنيا والآخرة. على خلاف السنن

الكونية المتمثلة في القوانين التي تشمل نظام الكون من مجرات وكواكب وأجرام، وتتحكم في المادة وما يترتب عنها من تفاعلات حسب خصائصها المميزة لها في ظروف الحرارة والبرودة وغيرها؛ وكل هذه السنن في النهاية تصدر عن إرادة ومشيئة ربانية واحدة.

ثانيا: خصائص الفعل الرباني

أثناء تأملنا في السنن الاجتماعية وتجلياتها في مختلف المجتمعات البشرية عبر محطات التاريخ، نجد أنها سنن ثابتة ومطردة لا تتغير ولا تتبدل ومستمرة في تفاعلها مع الأحداث الماضية والحاضرة، مؤثرة في الأبعاد المستقبلية سباقة في تفاعلها مع المستقبل والتأثير فيه، بل وصناعته حسب نوع الأفعال المشكلة للأحداث في مختلف الأزمنة التاريخية، فلكل فعل ردة فعل وأثر في الزمان والمكان.

بما أن للسنن الاجتماعية هذه القدرة على المحافظة على طريقة واحدة في التعبير عن نفسها داخل حلقة العمران البشري، كان لزاما علينا نحن المخلوقات العاقلة أن نستنتج مصدرية هذه القوانين السنية وأن نبحث عن صانعها وخالقها والمتحكم بها المحافظ على صيرورتها وثباتها واطرادها داخل المجتمع، ولا يمكن لأحد من المخلوقات أن تكون له القوة والعلم الكافي لتثبيت هذه السنن وجعلها مستمرة في الحدوث بشكل مطرد وبكيفية خارقة وعالمة، ومعرفة كينونة الأشياء سلبية كانت أم إيجابية، وخلق ما يناسب حسب المقادير والأقدار المخلوقة لها، وحسب الأهداف المسطرة التي تحقق الوصول إلى المراد وتنفيذ ذلك الامر الذي كان مفعولا.

إذا كان أقوى مخلوق عاقل لا يستطيع أن يصنع مثل هذه السنن، بل لا يستطيع أن يتجنبها أو يعارضها، فهذا يدل على أن سن هذه السنن خارج لائحة المخلوقين، وفعله خارج معايير الخطأ والسهو، ولا يندرج إلا في مسميات الكمال، كمال القوة وكمال الفعل وكمال الإرادة، ولا يمكن أن تتجسد هذه الصفات إلا في ذات واحدة كاملة؛ ومن ثم تخبرنا طريقة استمرار السنن وثباتها واطرادها أن هناك إلها واحدا أحكم هذه السنن، وهو الله سبحانه وتعالى، وقد أرشدنا إلى ذلك من خلال كتبه ورسله، يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ۬) (القمر:49)، أي إن الله خلق كل شيء وفق مقدار قدره وقضاه ولا يعلم كنهه إلا هو سبحانه، ويعلم ما كان وما سيكون، وما قدره يكون على هذا الأساس، ويقول أيضا: (وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ) (القمر: 3)، أي كل أمر من خير وشر مستقر قراره ومعلوم نهايته ومآله. وأخبر سبحانه أن كل هذا يجري وفق سنته التي لا تتغير ولا تتبدل، وذلك في قوله سبحانه: (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ (43) وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ۖ) (فاطر: 43-44).

كل هذه السنن محكومة تحت سلطانه، وهي تتعلق بدينه وأمره ونهيه ووعده ووعيده، لا تتخلف أبدا حتى وإن بدت أنها تأخرت، فأجلها يقدره الله عز وجل بعلمه وحكمته، وذلك أن طبيعة سنن العمران البشري مرنة وتحمل خاصية إمهال بعض الوقت لصالح الإنسان يعني أنها غير آنية ولا بد لها في نهاية المطاف أن تقع وتنفذ.

قد يعترض أحد المشككين فيقول: إنك قلت في ادعائك أن سنن الكون عموما، وسنن المجتمع خصوصا، ثابتة ومطردة ومستمرة في الوجود، كي تخبرنا أن الله موجود ومنفرد بالقوة والوحدانية والكمال في تسيير هذه السنن بقدر وحكمة، فما دليلك على أن هذه السنن ثابتة ومطردة؟

للرد على هذا التساؤل، سأقوم بدراسة الموضوع من زاويتين:

1. من حيث الثبات

إن السنن الاجتماعية ثابتة، ويمكن بيان ذلك من عدة أوجه علمية ومنطقية وواقعية، وكلها تقودنا إلى الفكرة نفسها، فمن جهة السنن الاجتماعية فهي صارمة لا تتبدل من زمان إلى زمان، وتبقى مستمرة وإن تغير الزمان، ولا من مكان إلى مكان، فحالها ثابت في كل الأرض ومجتمعاتها؛ لأنها ليست من صنع ظروف المناخ في بلد ما، ولا تؤثر فيها ظروف البيئة الجغرافية أو الاقتصادية، (عبد العظيم: 58-59)، ولا يستطيع أي مخلوق أن يخضعها تحت سلطته أو يتحكم بها حسب هواه، فأمرها على مر التاريخ خاضع لسلطة واحدة وإرادة واحدة مطلقة تستسلم لها كل قوانين الكون والوجود وفق سنن لا تبديل ولا تحويل لها. يقول الله سبحانه و تعالى: (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۖ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ (43) وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ۖ) (فاطر: 43-44)، فكلمة التبديل لها دلالتها الخاصة، وكلمة التحويل لها نفس الأمر، وهذا ما يشرحه ابن تيمية، يقول: "فالتبديل أن تبدل بخلافه، والتحويل أن تحول من محل إلى محل، مثل استفزازه – أي: استفزاز الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم - من الأرض ليخرجوه، لأنهم لا يلبثون خلفه إلا قليلا، ولا تتحول هذه السنة بأن يكون هو المخرج وهم اللابثون، بل متى أخرجوه خرجوا خلفه، ولو مكث لكان هذا استصحاب حال، بخلاف ظهور الكفار فإنه كان تبديلا لظهور المؤمنين وظهور الكفار إذا كان لا بد من أحدهما.

وأما أهل المكر السيئ والكفار فهي سنة تبديل لا بد لهم من العقوبة، لا يبدلون بها غيرها، ولا تتحول عنهم إلى المؤمنين، وهو وعيد لأهل المكر السيئ، أن لا يحيق إلا بأهله، ولن يتبدلوا به خيرا: يتضمن نفيا وإثباتا فلهذا نفي عنه التبديل والتحويل". (ابن تيمية، 2001: 1: 55-56).

إن الأرض التي أعدت للإنسان من أجل تحقيق الاستخلاف فطرت بنواميسها على استيعاب نظام سنني لا يتغير، فهو باق على حاله منذ خلق الله عز وجل السماوات والأرض، وإلا فكيف يمكن إذن الثبات في عالم لا يفهم ماضيه من حاضره ولا يتنبأ بمستقبله؟ عالم لا يثبت على حالة واحدة، عالم غير منضبط لا يحكمه قانون ولا تضبطه سنة.

إذاً، إن إمكانية العيش تتطلب هذا الثبات والاستقرار في السنن، لذلك كانت حكمة الله أن جعل السنن مستمرة على هذه الحال من الثبات كما في قوله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ إِثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ)، (التوبة: 36)، ولا يمكن أن تنفعل هذه السنن أو تخرق إلا بحكمة جاءت لتحقيق سنة أخرى أكثر ثباتا منها، كيف ذلك؟

إن السنن الاجتماعية لم تعرف الشذوذ أو التطرف أو الغياب عن الواقع عبر التاريخ، فهي حاضرة منضبطة متوازنة تخضع لحركة المجتمع في أهدافه المختلفة. أما السنن الكونية والطبيعية، فتعتريها ظروف ربانية معجزة لحكمة أسهمت فيها السنن الكونية مثل: إحياء الموتى غير مرة، وشق القمر للرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وشق البحر ليجعله طريقا فيه النجاة لمن أطاع وصبر من قوم موسى، والهلاك لمن طغى وتجبر وعصى، وكل هذه الأمثلة وغيرها جاءت لتبين ثبات السنن.

لتوضيح المقال أكثر، وضح ابن تيمية هذه الفكرة، فقال في السنن الاجتماعية بعد الاستدلال على ثباتها في آيات كثيرة: "... وهذه السنن كلها سنن تتعلق بدينه وأمره ونهيه ووعده ووعيده، وليست هي السنن المتعلقة بالأمور الطبيعية، كسنته في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من العادات، فإن هذه السنة ينقصها إذا شاء بما شاء من الحكم كما حبس الشمس على يوشع عليه السلام... وكما ملأ السماء بالشهب، وكما جعل العصا حية، وكما أنبع الماء من الصخرة بعصا، وكما أنبع الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأيضا، فقد عرف انتقاض عامة العادات، فالعادة في بني آدم ألا يخلقوا إلا من أبوين وقد خلق المسيح من أم، وحواء من أب، و آدم من غير أم و لا أب... وهذا خلاف عاداته التي وعد بها وأخبر أنها لا تتغير لنصرة أوليائه وإهانة أعدائه، فإن هذا علم بخبره وحكمته، أما خبره: فإنه أخبر بذلك ووعد به، وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد، أما حكمته فإن جميع طوائف أهل الملل يقولون: مقتضى حكمته أن يكون العاقبة والنصر لأوليائه دون أعدائه... فعلم أن هذه السنن دينيات لا طبيعيات" (ابن تيمية، 1: 52-56)، ومن ثم، تصبح السنن الاجتماعية في حال يستحيل أن تكون متغيرة لارتباطها بأمر الوحي الذي له قصد واحد لا يتغير، وهو الفلاح لمن آمن، والخسران لمن كفر وظلم.

لكن هذا لا يعني أن سنن الله في العالم المادي ليست منضبطة، بل حكم الثبات يعتريها أيضا، لكن تخرقه المعجزات لصالح بقاء واستمرار السنن الاجتماعية التي تعبر عن شريعة الله المرسلة لبني آدم، ويعبر ابن تيمية عن هذا الأمر في قوله: "إن سنن الله الدينية تمتاز على سننه الطبيعية، فإن الأولى متعلقة بشرعه ودينه والأخرى متعلقة بخلقه، ومقتضى هذا الامتياز والتفضيل أن تتفرق الثانية لتحقق اطراد الأولى وثباتها إذا اقتضت الحكمة ذلك فتكون الثانية وسيلة من وسائل تحقيق الأولى.

ويمكن إيضاح ذلك بأن يقال إن الله أجرى سنته بأن ينقض سنته الطبيعية لتحقيق ما وعد به من سنته الدينية الشرعية، فنقضه إياها لوصف اختصت به تلك الحال عن غيرها، فهذا النقض ليس وصفا عاما، ولكنه من جنس تخصيص العلة بانتهاء شرط أو وجود مانع...". (ابن تيمية، 1: 56-57).

ومن الأمثلة الواقعية التي تؤكد صفة الثبات للسنن الاجتماعية في أرض الواقع والأحداث عبر مراحل التاريخ والحضارات، نجد أن هناك من السنن ما تجعلنا على وعي كبير بما سيحدث لنا إذا فعلنا هذا الفعل ولم نفعل غيره، وذلك لعلمنا بالتجربة أن هذا الفعل يقود إلى هذه النتيجة، وهذا يقود إلى نتيجة أخرى قد تكون مختلفة تماما من حيث الهدف والقصد الذي نسعى إليه من خلال الاتيان بهذا الفعل في تعاملنا داخل المجتمع وحركته.

إن فهم كل سنة هو نتيجة لمعرفة أسباب نمو المجتمعات وطرق ازدهارها سياسيا واقتصاديا وأخلاقيا، وما يترتب عن هذا من إنشاء نوعية الحكومات والنظام التشريعي الخاص بها، ومستويات التعليم والصحة، ودور العائلة ونسبة تدينها وغير ذلك، ونتيجة أيضا لاستيعاب أسباب سقوط الأمم، وفشلها، وركودها، وعذابها، وسر اختفائها، عبر دراسة محطات أحداث التاريخ.

ومن الأمثلة التي توضح هذا المعنى نجد سنة نصرة الحق والدفاع عن المظلوم، على سبيل المثال هذه السنة قادرة على تأسيس مجتمع عادل وفاضل حتى وإن كان الفساد والاستبداد في كل بقاع العالم وينتشر في كل مجتمعات هذه الدنيا، فلا بد أثناء خدمة قضية الحق ونصرتها والدفاع عن المظلوم والمطالبة بالعدل أن يحل الفرج عاجلا غير آجل إن كان في قلب المدافع صدق وإخلاص؛ فهذا الفعل هو سنة مؤثرة ثابتة قادرة على إحياء ونصرة كل مجتمع مصاب بابتلاء الفساد والاستبداد مهما طغى وتجبر، لتبقى هذه السنة موجبة للنصر والفلاح في أكلح وأسوء ظروف المجتمع المقهور.

إن في أحداث سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أقوى مثال على هذا الادعاء القائم على أن هناك فعلا معينا إذا تم تفعيله بالكيفية السننية الصحيحة يمكن أن نرفع مجتمعا ونهدم آخر، ففي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم نلاحظ أنه أسس الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي منذ مراحله الأولى بمدافعة الباطل ونصرة الحق والمظلوم، (ابن هشام: 2004)، فهذه السنة كان لها أثر في جمع القلوب على الحق وتوحيدها في اتجاه الدفاع عن المغلوب والضعيف كيفما كان انتماؤه أو طائفته (كهوس: 2010).

ورغم الاستبداد والقوة التي ملكها زعماء قريش في المال والدهاء والخبث والعدد، كانت سنة مدافعة الباطل ونصرة الحق أقوى وأكثر فاعلية رغم قلة العدد والعدة عند أهل الحق. فهذا أمر الله وطريقته في تسيير عالم الإنسان وتفاعله مع قضايا عيشه ومعيشته، ولا يتغير هذا المبدأ في جميع حضارات الإنسان.

إن مجتمع فرعون والنمرود وقارون وقوم لوط وغيرها، كلها مجتمعات قوية انهدمت أثناء مواجهتها لسنة نصرة الحق والدفاع عن المظلومين والمستضعفين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، بروز سنة الظلم الموجبة للخراب والدمار لكل مجتمع مهما علا شأنه وقوته. فالظلم فعل سلبي يؤدي للانحطاط والخسران والفشل، سنة ربانية ثابتة على مر العصور، وفي كل الدول والمجتمعات.

وفعل المدافعة بالحق داخل مجتمع الظلم والاستبداد، فعل آخر يسرع عملية سقوط الفاجر وبداية العهد الصالح مع الثلة المجاهدة بسيف الحق والعدل، ويتم هذا الفعل السنني بطريقة متداخلة ومعقدة إلى حد يجعلنا نحيله إلى قوة ربانية تسيره وتدعمه من السماء، وفق خطة لا نعلم إلا القليل من أسرارها المعجزة، فكل سنة تنفعل بظهور سنن أخرى، وكل سنة تدعم الأخرى.

2. من حيث الاطراد

حينما ننظر إلى مصطلح الاطراد، نجد أنه يشير إلى معنى دلالي يصف حالة فعل معين أثناء تفاعله في الوجود، والمقصود به وصف خاصية أنها تتميز في كل أحوالها بالتتابع والتسلسل بشكل مطرد يجعلها مستمرة في حصولها ومتكررة على منهج واحد كلما توافرت شروط تحقيقها وانتهت الموانع التي تحول دون وقوعها، وهي بهذا المعنى لا تتخلف أو تتبدل، ولا يمكن أن تنقض بأي طريقة كانت، وقد أكد ابن تيمية هذا المعنى في قوله: " فإن الله عز وجل في الحقيقة لا ينقض عادته التي هي سنته، القاضية بالتسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين" (ابن تيمية، 1386: 219).

وطبيعة خاصية الاطراد تجعل أمور الخلق وما يحيط بها تحقق نتائج ترتبط بنوع السنن التي تم تفعيلها، وكلما توافرت شروط كل سنة وانتفت الموانع التي تقوم دون تحقيقها إلا ويتم تفعيلها بشكل لا نهائي داخل المنظومة الكونية والاجتماعية، فاليد تحترق كلما لامست النار، والمرض يحصل كلما صادفت الجراثيم جسما قابلا للعدوى والمرض، والحجر يسقط إلى الأرض كلما ألقي به في الفضاء، (كنعان، 1997: 77)، والماء يتجمد بالبرودة، والجزاء من جنس العمل، والعدل يبشر بالنهضة والتقدم، والجهل منذر بالفوضى والحرب وخراب العمران، والتسامح علامة على نهضة مجتمع رحيم، والكراهية بداية تفكك القلوب وإرهاصات مجتمع يسقط...

ومن الأدلة التي تعزز الإجابة عن السؤال السابق، هو كون إدراك خاصية الاطراد في السنن الكونية عموما، والسنن الاجتماعية خصوصا باعتبارها محور نقاشنا ومدار حوارنا، لهو أمر يسير داخل حيز الإمكان والفعل، ويقدر على عليه كل إنسان عاقل استطاع أن يفعّل خاصية التدبر والتعقل والنظر في الوجود، أي أن قوانين هذا العالم وسننه المرتبطة بالطبيعة والعمران البشري هي قواعد ربانية قابلة للفهم والاستيعاب في جميع العصور، وقد خُلقنا نحن البشر بخاصية الفهم، لأن هذا الكون مفتاح باب علومه فهمه، وهي خاصية نملكها غريزيا وفطريا، كأن عقولنا وسنن الله وجهان

لعملة واحدة، وهذا الفهم والذكاء الفطري والاعتبار نجده عند كل من أعمل نظره وعقله، سواء أكان ملحدا أم لا دينيا أم مجوسيا أم صاحب دين سماوي.

والذي يعزز دليلنا بشكل أقوى من ناحية البعد المنطقي، هو كون منطق العقل البشري ومنطق القرءان ينسجمان بشكل يجعلنا نستنتج حقا أن نتائج اكتشافنا أن السنن مطردة هي نفس الاستنتاج الذي يقدمه لنا القرءان الكريم، بقول الله سبحانه وتعالى: (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (137) هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)، (آل عمران: 137-138)، وقوله: (سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً)، (الأحزاب: 62)، كأن خوارزميات العقل البشري وخوارزميات القرآن الكريم لها نفس المصدر، ولا يكون هذا الأمر إلى من صنع واحد أحد، ولا يستطيع أحد تحقيق الوحدانية في ذاته وأعماله إلا الله عز وجل صاحب القدرة والتصرف المطلق والعلم والحكمة الكاملة.

ثمة آيات أخرى كثيرة يخبرنا بها كتاب الله سواء أتعلقت بقصص من سبقنا من الأمم أم تعلقت بضرب الأمثلة. كل هذا جاء في سياق العبرة والعظة التي ترشدنا إلى فهم منهج سنني يعتبر دستورا في حياتنا أثناء مراحل احتكاكنا وانغماسنا في المجتمع الإنساني أو داخل العمران البشري.

إن من طبيعة هذه الآيات أنها صريحة في دلالتها وواضحة، تؤكد لنا أن ما حل بالأمم السابقة جراء سلوكهم أمر نافذ حتى في عصرنا الحديث، ولا يتعلق فقط بمن سبقنا. يقول الله سبحانه وتعالى مؤكدا هذه الفكرة في قوله: (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر:44)، وقوله: (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً) (الأحزاب:62)، وهذا الدليل يعطينا يقينا جازما في دوام اطراد السنن وتحقيقها، والذي يدعى غير ذلك لابد له من إحضار دليل يثبت به إمكانية خروج المعلول عن علته في منظومتنا البشرية من ناحية السنن الاجتماعية المسيرة لها.

بهذا نكون قد أجبنا على كل من يقول إن هذا الكون له سنن عبثية غير ثابتة وغير مطردة، بل وصلنا في استنتاجنا أن السنن في المجتمع لا يمكن أن تتغير، لأنها مرتبطة بمصدر واحدا وهو الله الذي أرسل رسله بمبادئ ثابتة، وجعلها أسسا في الحياة، وأن قبولها وتطبيقها أو رفضها والغفلة عنها يحدث فرقا كبيرا في طريقة العيش في المجتمع البشري. فكل تفاعل مع الشريعة والأسس التي تنبني عليها إلا ويقود إلى حتمية سنية معينة، إما إلى نور الله أو إلى ظلام شيطاني، إما إلى عزة وشموخ ونصر أو إلى ذلة وسقوط وهزيمة.

خاتمة

هناك كثير من النتائج التي يمكن استنتاجها في خاتمة بحثي فكان من أهمها:

أولا: تحتاج السنن الاجتماعية لمجهودات كبيرة واهتمام أكثر لدراستها وفق مقاربات علمية عديدة، لما تحمله من رسالة ربانية شاملة يمكم ملاحظتها بالبحث والتدقيق العميق في خصائصها وعملها في الأمم والأفراد.

ثانيا: كل بحث في موضوع السنن يحترم منهج العلم والموضوعية العلمية سينتهي لا محالة إلى قناعات راسخة على وجود الله واستمراره في تسيير الوجود، فينهار بذلك كل فكر يقود للإلحاد أو الشرك.

ثالثا: إن الإلحاد في العصر القديم والحديث يعاني من أزمة في منهجية الفهم، وجحود في إرجاع كل ما أبدع في الوجود إلى رب واحد لا شريك له.

رابعا: الشرك يعترف بالله وقدرته جزئيا ولا تكتمل رؤية الكمال في ذهنه إلا بإشراك قوى أخرى تكمل ما أنقصه من الله عز وجل.

خامسا: إن مدخل التوحيد والوحدانية التي أقرها الله سبحانه وتعالى في رسالته السماوية، في قوله: (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (1) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ (4)، (الإخلاص)، يمكن تجسيدها واستخراجها من السنن الاجتماعية، باعتبارها لوحدها دليلا قويا في إثبات وحدانية الله، والأصل في هذا أنه صادر من عند الله سبحانه وتعالى، والذي قدم لنا الأدلة الكافية والواضحة عبر أنبيائه ورسله وكتبه ومخلوقاته وطرق تسييرها في عالم الشهادة.

سادسا: استخلاص الوحدانية في السنن من خلال إثبات أن السنن الاجتماعية ثابتة لا خرق فيها على مر العصور، حتى وإن طال الزمان أو قصر فالنتيجة حتمية، وهي على هذا المنوال لا تتبدل ولا تتحول، بل تستمر بشكل مطرد ومتسلسل، تتكرر آثارها على الوتيرة نفسها كلما توافرت شروطها وانتفت موانعها التي تحول دون تحقيقها.

ولا يمكن لأحد أن يبدع خواص السنن سوى رب السماوات والأرض، لأنها خواص يعجز عن إبداعها كل من ادعى الألوهية في الأرض؛ ليدل هذا على وجود رب واحد أوجد هذه السنن وأبدع نشأتها، فكانت على الطريقة التي نراها عليها، فلا فوضى فيها ولا دخن. وأي شخص أو كيان أو قوة تجرأت على ادعاء امتلاكها القدرة على محاكات طريقة الله في الخلق والايجاد والابداع، فإنها تفضح وتكشف مع أول فعل لها لمحاولة إثبات ذلك.

شكروامتنان:

لا أغفل في هذا المقام العلمي أن أشكر أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور المكي اقلاينة على ما بذله من توجيه وتصحيح ودعم من أجل إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود، فشكرا له مجددا، مصداقا للحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" (البخاري، 1997: 160: 99).

فهرس المصادروالمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن عبد السلام. (2001). *جامع الرسائل والمسائل*، تحقيق: محمد رشاد سالم. الرياض: دار العطاء.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن عبد السلام. (1386). *النبوات*. القاهرة. المطبعة السلفية.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن عبد السلام. (1406). *الصفدية*. تحقيق: محمد رشاد سالم. مصر: مكتبة ابن تيمية.

ابن خمير، أبو الحسن علي بن أحمد السبتي. (2004). *مقدمات المراشد في علم العقائد*، حققه: جمال علال البختي، مطبعة النجاح العربي.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. (2002). *تفسير القرآن العظيم*. دار طيبة للنشر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (د. ت). *لسان العرب*، طبعة دار صادر – بيروت: دار صادر.

ابن هشام، عبد الملك الحميري المعافري. (2004). *السيرة النبوية*. القاهرة: دار الفجر للتراث.

أبو الحسن، صديق عبد العظيم. (1998). *مفهوم السنن الاجتماعية في القرآن الكريم*. قطر: *مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية*. 31: 56.

إسلانجيه، أوليفييه. (د. ت). *مقدمة في علم الفلك*. ترجمة: طارق كامل، مراجعة: السيد عطا. دار الألف كتاب.

أمحزون، محمد. (2011). *السنن الاجتماعية في القرآن الكريم وعملها في الأمم والدول*. دار طيبة للنشر والتوزيع.

أينشتين، ألبرت. (2005). *تطور علم الطبيعة*. ترجمة: محمد النادي. عطية عاشور. مراجعة: محمد مرسي. تقديم: عطية عاشور. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. (1997). *صحيح الأدب المفرد*. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع.

عبد الجبار، سعيد. (2005). "السنن الإلهية في ضوء السنة النبوية". الأردن: *أبحاث اليرموك*، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة اليرموك. 2: 21: 212.

كنعان، أحمد. (1997). *أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق*، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

كهوس، رشيد. (2010). *السنن الإلهية في السيرة النبوية*، بيروت: دار الكتاب العلمية.